تحليل خطبة الرّسول صلى الله عليه وسلم في حجّة الوداع

الكفاءة المستهدفة:

تحليل وثيقة خطبة حجة الوداع وإبراز ما تضمنته من أحكام وتوجيهات وحاجة المجتمع الدولي اليوم إليها

مراجع الدرس:

- دراسات في السيرة – عماد الدين خليل
- فقه السيرة – محمد الغزالي
- فقه السيرة – محمد سعيد رمضان البوطي.

تصميم الدرس

ـ تمهيد

1 – المناسبة والظروف

2 – نص الخطبة

3– شرح كلمات الخطبة:

4 – تحليل نص الخطبة

5– أحكام وإرشادات من خطبة الوداع

ـ الخلاصة

*** أسئلة التقويم الذاتي**

*** أجوبة التقويم الذاتي**

جميع الحقوق محفوظة ©

تحليل وثيقة خطبة الرّسول ﷺ في حجة الوداع

- ما هي المناسبة والظروف التي جاءت فيها خطبة الوداع؟
- جمعت خطبة الوداع مبادئ عظيمة. ما هي أهم هذه المبادئ؟
- ماذا نستفيد من خطبة الوداع من أحكام وإرشادات؟

تمهيد

كانت خطبة الوداع - الّتي تخلّلت شعائر الحج- لقاءً بين أمة ورسولها؛ بل لقاء توصية ووداع، لخّص لهم فيه أحكام دينهم ومقاصده الأساسية في كلمة جامعة مانعة، خاطب بها صحابته والأجيال من بعدهم، بل خاطب البشرية عامة، بعد أن أدّى الأمانة وبلّغ الرّسالة ونصح للأمة في أمر دينها ودنياها.. وما أروعها من ساعة تلك الّتي اجتمع فيها من أرسله الله رحمة للعالمين مع الجموع المؤلفة خاشعين متضرّعين، وكلّهم آذان صاغية لكلمات الوداع وكلمات من لا ينطق عن الهوى.. كلمات تجد صداها عند كلّ من يستمع لها، لأنّها تخرج من القلب إلى القلب.

http://www.onefd.edu.dz
جميع الحقوق محفوظة ©

1- المناسبة والظّروف :

هذه الخطبة ألقاها الرّسول صلى الله عليه وسلم في يوم عرفة الموافق للتاسع من ذي الحجة من السنة العاشرة فوق جبل الرحمة، وقد نزل فيه الوحي مبشراً أنّه:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾

[المائدة/03]

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

2- نص الخطبة:

الحمدُ لله نحمدُهُ ونَستَعِينُه، ونَستَغفِرُهُ، ونَتُوبُ إليه، ونَعُوذُ باللهِ مِنْ شُرورِ أنْفُسِنا ومِنْ سَيّئات أعْمَالِنَا، مَن يَهْدِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومَنْ يُضلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، أوصيكم عبادَ الله بتقوى الله وأحثُّكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير، أَمَّا بعد:

أَيُّها النَّاس، اسمعوا قولي، فَإنّي لاَ أَدْرِي، لعَلّيّ لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامي هَذَا، بهذا الموقف أبدا. أيها الناس، إنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟ وإنّكم ستَلقَوْن ربَّكم فيسألُكم عن أعمالكم وقد بلّغت، فَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ أَمَانةٌ فليؤدِّها إلى مَنْ ائْتمَنَهُ عَلَيها، ألا و إنّ كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع ودماء الجاهلية موضوعة.. وإنَّ ربَا الجَاهِلِيّة مَوضوعٌ، ولكن لكم رؤوسُ أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون. قضى الله أنّه لا ربا، وإنّ أَوّلَ رباً أَبْدأُ بِهِ رِبَا عَمّي العباسُ بن عبد المطلب، وإن كل دم كان في الجاهلية موضوع وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد بن عبد المطلب (وكان مسترضَعا في بني ليث فقتلته هذيل)، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية.

أيها الناس، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبدا، ولكنّه إن يُطع فيما سِوَى ذلك فقد رضي به بما تحقِرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أَيُّها النَّاس، إِنَّمَا النَّسيءُ زِيادةٌ في الكُفرِ، يضلُّ به الذينَ كَفَروا، يُحِلُّونَهُ عاماً، وَيُحَرِّمُونَهُ عاماً، لِيُوَاطِئُوا عِدَّة مَا حَرَّمَ اللهُ فيُحِلوا ما حرّم الله ويحرّموا ما أحلّ الله. إنَّ الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان.

أَيُّها النَّاس، اتقوا الله في النساء، فإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فُروجَهن بكلمات الله، واستوصُوا بالنساء خيرا، فإنّهن عندكم عَوَان، لا يملكن لأنفسهن شيئا، إلاّ أن يأتين بفاحشة مُبيّنة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع، واضربوهن ضرباً غير مُبَرّح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً. ألا إن لكم على نسَائِكُمْ حقاً ولِنسَائِكُمْ عليكم حقاً، فأما حقكم على نسائكم؛ فلا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غيرَكم، وَلا يُدْخِلْنَ أحَداً تكرَهُونَهُ بيوتَكُمْ، ولا يأتينَ بِفَاحِشَة، فإنْ أطَعْنَكُمْ فَعَلَيْكُمْ رِزقُهنَّ وكسوتُهُنَّ بالمَعْرُوفِ، فاعقِلوا أيها الناس قَولي، فإنّي قد بلّغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلّوا أبدا، أمرا بيّنا، كتابَ الله وسنةَ نبيه.

أَيُّها النَّاس، اسمعوا قولي واعقلوه، تَعَلّمُن أن كل مسلم أخ للمسلم وأن المسلمين إخوة، فَلاَ يَحِلُّ لامرئٍ مَالُ أَخيهِ إلاّ عَنْ طيبِ نفْسٍ منهُ، فلا تظلِمُنّ أنفسكم. اللهم هل بلّغت؟ وستلقون ربّكم فلا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفاراً يَضرِبُ بَعْضُكُمْ رقابَ بَعْض.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

أيها النّاسُ إن رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وإنّ أَبَاكُمْ واحِدٌ، كُلكُمْ لآدمَ، وآدمُ من تُراب، أَكرمُكُمْ عندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ وليس لعربيّ فَضْلٌ على عجميّ إلاّ بالتّقْوىَ، أَلاَ هَلْ بلَّغْتُ، اللّهُمّ اشهد.

3- شرح كلمات الخطبة:

- **أعراضكم عليكم حرام:** لا تحل.
- **موضوع:** ساقط لا حساب له لأنه جاء من حرام.
- **النسيء:** تأخير حرمة المُحَرّم إلى صفر أيام الجاهلية.
- **يُوطِئن:** أي أن لا يأذَنّ لأحد ممن تكرهون دخوله عليهن.
- **عَوان:** أسيرات.

جميع الحقوق محفوظة ©

4- تحليل خطبة حجة الوداع

ما أروعها من كلمات، تلك الّتي ألقاها الرّسول صلى الله عليه وسلم في عرفات، راح يخاطب فيها الأجيال والتّاريخ بعد أن أدّى الأمانة ونصح للأمة وجاهد في سبيل الدّعوة إلى ربّه ثلاثة وعشرين عاماً، لا يكلّ ولا يمل.. ما أروعها من ساعة تلك الّتي اجتمع فيها حول رسول الله صلى الله عليه وسلم الآلاف المؤلفة، خاشعين متضرّعين، وقبل ذلك طالما تربّصوا به متآمرين ومحاربين، آلاف مؤلفة ما يمتد به النّظر من كلّ الجهات، تردّد بلسان حالها قول الله عز وجل:

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾

[غافر/51]

ومن خلال وجوههم أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إلى الأجيال المقبلة إلى العالم الإسلامي الكبير الذّي سيملأ شرق الأرض وغربها، وراح يلقي على مسامع هذا العالم خطاب المودّع: "أيها النّاس اسمعوا قولي فإنّي لا أدرى لعلّي لا ألقاكم بعد عامى هذا، بهذا الموقف أبداً..". وأنصتت الدّنيا لتسمع قوله، وأنصت الحجر والقفر والمدر إلى الكلمة المودّعة ينطق بها فم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن أنِسَت وسَعِدت به الدّنيا كلها ثلاثة وستون عاما.. ها هو اليوم يلمح بالرّحيل، بعد أن قام بأمر ربّه وغرس الأرض بغِراس الإيمان، وها

جميع الحقوق محفوظة ©

هو الآن يلخص المبادئ الّتي جاء بها وجاهد في سبيلها في كلمات جامعة، وبنود معدودة، يلقي بها إلى مسامع العالم..

1 – البند الأول : تضمّن الكلام عن حُرمة النفس البشرية وتحريم الاعتداء عليها، والكلام عن أصل البشر الواحد. في قوله: "أيّها النّاس، إنّ دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربّكم، كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا.." ولقد كرّر هذه التّوصية نفسها مرّة أخرى في خاتمة خطابه، وأكد ضرورة الاهتمام بها، وذلك عندما قال: "لا يحل لامرئ مال لأخيه إلاّ عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت"؟

2 – البند الثّانى : تحريم وإبطال كل أفعال الجاهلية القبيحة التي كان أهل الجاهلية يتفاخرون بها من ربا وسفك دماء، وفوارق اجتماعية، واختلاط للأنساب بالتبنّي وكثير من الأنكحة الفاسدة.

فهذا البند لم يكن مجرّد توصية ولكنّه قبل ذلك قرار أعلن عنه لأولئك الّذين كانوا من حوله و للأمم الّتي ستأتي من بعده، وهذه صيغة القرار: "ألا و إنّ كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدميَّ موضوع، ودماء الجاهلية موضوعة.. وإنَّ ربَا الجَاهِلِيّة مَوضوعٌ..". فما المعنى الّذي تتضمنه صيغة القرار؟

إنّه يقول: إن كلّ ما كانت الجاهلية تفخر وتتمسك به من تقاليد العصبية والقبلية وفوارق اللّغات والأنساب والعرق واستعباد الإنسان أخاه الإنسان بأغلال الظّلم والمراباة قد بطل أمره ومات اعتباره، فهو اليوم جيفة منتنة،

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

وأصبح مكانها من حياة المسلم اليوم تحت موطئ الأقدام، إنّه رجس ولّى، فمن ذا الّذي يرجع بعد ذلك لينبش التّراب عن الجيفة المنتنة فيعانقها؟

3 – البند الثّالث : تحريم التلاعب بالأشهر والأيام تقديما وتأخيرا؛ فقد كان ذلك من أهل الجاهلية على ما يوافق أهوائهم، بل أعلن النبي صلى الله عليه وسلم عن تطابق الزمن مع ما أمر الله به.

فقد أعلن فيه صلى الله عليه وسلم عن تطابق الزّمن إذ ذاك مع أسماء الأشهر المقسم عليها، وذلك بعد طول تلاعب بها من العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، فقد كانوا –كما يقول مجاهد وغيره– يجعلون حجهم كلّ عامين في شهر معين من السّنة، فيحجون في ذي الحجة عامين، ثمّ يحجون في المحرّم عامين وهكذا، فلما حج رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا العام، وافق حجه شهر ذي الحجة، وأعلن إذْ ذاك أنّ "الزّمان قد استدار كهيئته يوم خلق السّموات والأرض"، أي فلا تتلاعبوا بالأشهر تقديماً وتأخيراً، ولا حج بعد اليوم إلاّ في هذا الزّمن الذّي استقرّ اسمه: (ذا الحجة).

4 – البند الرّابع : الأمر بالإحسان إلى النساء للقضاء على الظلم البائد للمرأة الذي كان منتشرا في الجاهلية.

فقد أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً بالنّساء، وأكد في كلمته المختصرة الجامعة القضاء على الظّلم البائد للمرأة في الجاهلية، وتثبيت ضمانات حقوقها وكرامتها الإنسانية التي تضمنتها أحكام الشّريعة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الإسلامية. ولقد كانت هذه الحقيقة جديرة بتأكيد التّوصية بها، بسبب أنّ المسلمين كانوا قريبى عهد بتقاليد الجاهلية التي تقضي بإهمال شأن المرأة وعدم الاعتراف بأي حق لها. ولعل هناك حكمة أخرى لهذه التّوصية والاهتمام بها، وهي أن يكون المسلمون في كلّ عهد وطَور من الزّمن على بيّنة من الفرق الكبير بين كرامة المرأة وحقوقها الطّبيعية الّتي ضمنتها الشّريعة الإسلامية، وما يهدف إليه البعض من استباحة الوسائل المختلفة إلى التّمتع والتلهّي بها، وهو ما حاربه الإسلام.

5 – البند الخامس : ضمان النجاة والسعادة لمن تمسّك بالكتاب والسنة وعمل بهما وجعلهما مرجعا لحياته وشأنه كله.

فقد وضع النبيّ صلى الله عليه وسلم جميع المشاكل الّتي قد تعترض حياة الناس أمام مصدرين لا ثالث لهما، وضمَن لهم أنّ الاعتصام بهما هو الأمان من كلّ شقاء وضلال، ألا وهما كتاب الله وسنة رسوله.. وإنك لتجده يتقدّم بهذا التّعهد والضّمان إلى جميع الأجيال المتعاقبة من بعده، ليُبيِّن للنّاس أنّ صلاحية التّمسك بهذين الدّليلين ليس وقفاً على عصر دون غيره.

6 – البند السّادس : تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم، وكيف يجب أن تكون عليه من تعاون وتكامل، وسمع وطاعة من المحكومين، ورأفة وحسن تدبير من الحاكم.

فقد أوضح صلى الله عليه وسلم ما ينبغي أن تكون عليه علاقة الحاكم أو الخليفة أو الرّئيس مع الرّعية أو الشّعب، إنها علاقة السّمع والطّاعة

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

من الشّعب للحاكم مهما كان نسبه وشأنه ومظهره، ولقد أوضح لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا، أنّه لا امتياز للحاكم من وراء حدود كتاب الله تعالى وسنة نبيه، ولا يمكن لحاكمتيه أن ترفعه قيد شعرة فوق مستوى المنهج والحكم الإسلامي، إذ هو في الحقيقة ليس بحاكم ولا يتمتع بأي حاكمية حقيقية، ولكنّه أمين من قِبل المسلمين على تنفيذ حكم الله تعالى. ومن هنا لم تتعرف الشّريعة الإسلامية على شيء ممّا يسمّى بالحصانة أو الامتيازات لطبقة ما من المسلمين في شؤون الحكم أو القانون والقضاء. وأساس ذلك كله تلك الأخوة الإيمانية التي يجب أن تكون بين جميع المسلمين على اختلافهم وتنوّع مسؤولياتهم.

وفي الختام.. يشعُر رسول الله صلى الله عليه وسلم أنّه أخرج مسؤولية الدّعوة وتبليغها عن عنقه، فها هو الإسلام قد انتشر، وها هي ضلالات الجاهلية والشّرك قد تبدّدت، وها هي أحكام الشّريعة الإلهية قد بلّغت، وها هو الوحي ينزل عليه صلى الله عليه وسلم مخاطباً البشر كلّهم:

﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾

[المائدة/03]

ولكنه صلى الله عليه وسلم يريد أن يطمئن إلى شهادة أمته بذلك أمام الله تعالى يوم القيامة عندما يسألون.. فأعقب توصياته هذه لهم بأن نادى فيهم قائلا: إنكم ستسألون عنّي، فما أنتم قائلون؟

وارتفعت الأصوات من حوله تصرخ: نشهد إنّك قد بلّغت.. وأدّيت.. ونصحت. وحينئذ اطمأن الرّسول العظيم صلى الله عليه وسلم.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

5- أحكام وإرشادات من خطبة الوداع

1 – الوصية بتقوى الله تعالى.

2 – حرمة سفك الدّماء بغير حق، وإقرار العدالة والمساواة.

3 – حرمة الربا، لأنه النظام الذي يسحق الفقراء، ويجعل المجتمع طبقيا يمتلئ بالأحقاد والضغائن وتكثر فيه الجرائم..

4 – دفن الجاهلية ووضعها تحت الأقدام.

5 – التحذير من طاعة الشيطان.

6 – الأشهر الحرم لها حرمة في الإسلام.

7 – الوصية بالنساء خيرا.

8 – التمسك بكتاب الله والاعتصام، به فهو سبيل العزة والنصر والنجاح في الدنيا والآخرة.

9 – وجوب الأخوّة بين المسلمين.

10 – مسؤولية الأمة عن النبي صلى الله عليه وسلم في تبليغه الرسالة وأدائه الأمانة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©

الخلاصة

خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع

1. **المناسبة والظروف:** هذه الخطبة ألقاها الرسول صلى الله عليه وسلم في حجته الأولى والأخيرة يوم عرفة.
2. **تحليل نص الخطبة:** خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه الخطبة العظيمة البشرية جمعاء مرشدا إياها إلى ما يُصلح أمرها وحالها على مر العصور والدهور، وقد لمّح إلى أنّه في أواخر أيامه، فيجب على الناس أن يسمعوا منه آخر وصاياه، كما أشار إلى أهم المبادئ التي جاء بها من عند الله وبلغها للناس وأوذي من أجلها؛ من: إيمان بالله تعالى ونبذ تصرفات الجاهلية وحقوق المؤمنين فيما بينهم..
3. **الأحكام والتوجيهات التي تضمنتها الخطبة:**

- **البند الأول:** حرمة النفس البشرية وتحريم الاعتداء عليها، والكلام عن أصل البشر الواحد.
- **البند الثاني:** تحريم كل الأفعال القبيحة التي كان أهل الجاهلية يتفاخرون بها من ربا وسفك دماء، وفوارق اجتماعية، واختلاط للأنساب بالتبنّي وكثير من الأنكحة الفاسدة.
- **البند الثالث:** تحريم التلاعب بالأشهر والأيام تقديما وتأخيرا. بل أعلن النبي ﷺ عن تطابق الزمن مع ما أمر الله به.
- **البند الرابع:** الأمر بالإحسان إلى النساء للقضاء على الظلم البائد للمرأة الذي كان منتشرا في الجاهلية.
- **البند الخامس:** ضمان النجاة والسعادة لمن تمسك بالكتاب والسنة وعمل بهما وجعلهما مرجعا لحياته وشأنه كله.
- **البند السادس:** تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم وكيف يجب أن تكون عليه من تعاون وتكامل، وسمع وطاعة من المحكومين ورأفة وحسن تدبير من الحاكم.

جميع الحقوق محفوظة ©

* أسئلة التقويم الذاتي

1- استخرج ثلاثة أحكام شرعية من نص الخطبة.

2- فهم بعض الصحابة من نص الخطبة أن الأيام الأخيـــرة للرســـول صلى الله عليه وسلم قد اقتربت. ما الذي يشير إلى ذلك في النص؟

3- أشار الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته إلى حقوق الإنسان. استخرج ثلاثة منها.

http://www.onefd.edu.dz

جميع الحقوق محفوظة ©

* أجوبة التقويم الذاتي

1– الأحكام المستنبطة من خطبة الوداع:

أ/ تحريم الدماء والأعراض في الإسلام.

ب/ وجوب أداء الأمانة في الإسلام.

ج/ تحريم الربا في الإسلام.

2– لقد فهم بعض الصحابة من نص الخطبة أن الأيام الأخيرة للرسول صلى الله عليه وسلم قد اقتربت، والذي يشير إلى ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "أما بعد أيها الناس، اسمعوا مني أبيّن لكم، فإنّي لا أدري لعلّي لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا".

3– أشار الرسول صلى الله عليه وسلم في خطبته إلى حقوق الإنسان، والتي منها:

- الحق في الحياة.
- الحق في الملكية.
- حقوق المرأة.

http://www.onefd.edu.dz جميع الحقوق محفوظة ©